التاريخ:14/03/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

((سنن الله في تحصيل الألفة و المحبة))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به و نستهديه و نسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله،أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره.اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى .. فنحن جميعاً عما قريب ماضون إلى دار لا درهم فيها ولا دينار لا ينفع فيها مال ولا بنون ليس هنا إلا الحسنات والسيئات، وإنه من عمل الحسنة كوفئ بها ومن عمل السيئات جوزي عليها وإن القاضي بصير وهو لا يحابي ولا يماري ولا يميل لقوم دون قوم فقدموا لأنفسكم

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾[آل عمران]

وقال الله تعالى :﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر]

نحن في الخطبة الحادية عشر من سلسلة))السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن((.

في القرآن قوانين نواميس سنن تحكم هذا الكون الذي يقدم مقدماتها ينال نتائجها الذي يوافقها يفلح والذي يخالفها يهلك .

رب العالمين وضع أنظمته في هذا القرآن ونحن إذا قرأنا القرآن باحثين عن القوانين التي فيه لنتبعها أفدنا كثيراً من القرآن الكريم لذلك كانت هذه السلسلة .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة ،وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر،وعن السنن الإلهية في الابتلاء ،وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال ، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح ،وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات ،وفي الظلم والظالمين ،وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك ،وفي البقاء للأنفع.....

وعنوان خطبة اليوم :السنن الإلهية في تحصيل الألفة والمحبة.

أيها الإخوة الإنسان جمعي بفطرته يحب الآخرين ويحب أن يحبه الآخرون .

وقد وجدت في القرآن الكريم سنتين إلهيتين في تحصيل الألفة والمحبة ودفع الكراهية والبغضاء هما مادة هذه الخطبة .

كيف تصبح محبوباً ؟ كيف تدفع عنك بغض المبغضين ؟

السنة الأولى : حسن الخلق سبب لكسب الألفة والمحبة وسوء الخلق سبب للبغض والكراهية .

هذه السنة قرأتها في الآية رقم 159 من سورة آل عمران والآية رقم 34 من سورة فصلت .

آية آل عمران تقول : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ oo (159) ﴾[آل عمران]

الآية تقول والخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أجمل الخلق وأكمل الخلق ونبي الحق ورجل مدعوم من قبل السماء الآية تقول له لو كنت سيء الخلق لكرهوك لكنك برحمة الله كنت حسن الخلق فأحبوك .

حسن الخلق سبب للألفة والمحبة .

آية فصلت تقول : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35) ﴾ [فصلت]

الآية تقول قابل بحسن خلقك سوء خلق الآخرين تكسب قلوب خصومك وتقلب عداوتهم محبة وألفة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم .

حسن الخلق سبب لكسب الألفة والمحبة , وسوء الخلق سبب للبغض والكراهية .

نصراني باع داره لتاجر مسلم في جلسة كتابة العقد حان وقت صلاة المغرب استأذن المسلم النصراني لدقائق لصلاته فأذن له وقام التاجر لصلاته .

كان مع النصراني قريب له في جلسة العقد فهمس في أذنه إلى متى هذا التخلف وصل الناس للفضاء ولا زال بعض الناس يركعون ويسجدون سكت النصراني ولم يجب شيئاً .

تمت كتابة العقد ثم تسليم المال والدار ومضى كلٌ لشأنه .أخذ المسلم الدار وأخذ النصراني المال .

كان هذا النصراني قد رتب مع زوجته أن يأخذ المبلغ ويضع فوقه مبلغاً آخر ليشتري داراً جديدة. يبدو أنه لم يوفق في شراء دار جديدة تناسبه، مر شهران ولم يجتمع بمراده ويظهر أنه ندم ندماً شديداً على بيعه الدار وكذلك زوجته وكاد أن يقع بينهما شجار .

كيف تبيع المنزل قبل أن تجد لنا غيره ؟ كيف تسرعت وأخرجتنا من المنزل ؟ كيف ؟ و كيف ؟ وكيف ؟؟؟؟....

نما إلى المشتري المسلم خبر ندم النصراني وأهل بيته على بيع الدار سأل عن مكان عمل النصراني فدل عليه . ذهب إليه سأل عليه واطمئن وسأله هل اشترى داراً جديدة أجاب النصراني بأنه لم يفعل .

قال التاجر: بلغني أنك لم توفق بشراء دار جديدة وبلغني ندمك على بيعك الدار . الدار ما زالت عندي ولم أبعها إلى اليوم وقد زاد سعرها خمس مائة ألف ليرة سورية لكن بإمكانك إذا أحببت وإذا كنت متعلقاً بها وإذا كنت نادماً على بيعك أن تسترد دارك بالسعر نفسه الذي أخذته مني .

قال النصراني كيف تقول هذا وأنت تاجر عقارات؟ قال: لأن **نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال** لنا: ((**مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ ، أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) [أبو داود و ابن ماجه و ابن حبان] وأنا علمت بندمك وأحببت أن أفرج عنك .

بالمصادفة كان عند النصراني قريبه الذي قال له يوم كتابة العقد إلى متى هذا التخلف .

التفت النصراني إلى قريبه وقال إذا كان هذا هو التخلف فيا ليتنا جميعاً نكون متخلفين .

حسن الخلق تأخذ به قلوب العباد , حسن الخلق تكسب به ود الناس.وسوء الخلق سبب للبغضاء .

هذا التاجر المسلم ليس مفروضاً غليه أن يرد هذه الدار بالسعر نفسها لكن يسن له، يندب له، وله أجر عند الله، اختار هذا الأجر وهذا الموقف ليخطب ود الناس ليوجه قلوبهم إلى الإسلام .

أمريكا من أوائل البلاد في العالم في صناعة السيارات لكن المهندسين الأمريكيين لاحظوا أنه في شوارعهم تطوف ثماني سيارات يابانية من بين كل عشر سيارات. استغربوا كيف تغزو السيارات اليابانية دولة هي من أوائل الدول في صناعة السيارات ؟

أرسلوا خبراء إلى معامل السيارات اليابانية ليدرسوا أين التفوق فوجئوا بأن التفوق ليس تقنياً ولكنه اجتماعي. مدير المعمل، مدير القسم، مدير الدائرة علاقته مع عماله وموظفيه وأجرائه ممتازة جداً. يجلس المدير مع الموظفين بحسن خلقه يكسب ودهم. يجلس معهم، يطمئن على أحوالهم، يطمئنهم، يرعى مصالحهم، يخبرهم أن المعمل لا يمكن أن يستغني عنهم، ان تسريح أحدهم أمر شبه مستحيل العامل عندهم يشعر أنه ثابت في المعمل .

هذه الأخلاق التعاملية الحسنة انعكست وداً وحباً، هذا الحب انعكس عند العمال إتقاناً بالغاً للعمل ،هذا الإتقان انعكس رواجاً ومبيعات عالية .

قال الخبير الأمريكي سبب التفوق ليس تقنياً ولكنه اجتماعي .

بالمناسبة قامت الشركات اليابانية تويوتا ونيسان وهوندا بإنتاج مائة مليون سيارة خلال عام 2006 .

حسن الخلق سبب لكسب المحبة والألفة وسوء الخلق سبب للبغض .

تستطيع أن تشتري كل الناس بأخلاقك تستطيع أن تكون قريباً من كل الناس بحسن خلقك وتستطيع أن تنفر كل الخلق بسوء خلقك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((مَا من شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ))[الترمذي]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا))[الترمذي]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))[الترمذي و ابن حبان]

الزوج حسن الخلق محبوب، والزوج سيء الخلق مكروه .

الموظف حسن الخلق محبوب، والموظف سيء الخلق ممقوت .

الجار حسن الخلق محبوب، والجار سيء الخلق مبغوض .

الصاحب حسن الخلق محبوب، والصاحب سيء الخلق مكروه .

حسن الخلق سبب لكسب الود والألفة وسوء الخلق سبب للبغض والكراهية .

قال أحد الحكماء : سعة الأخلاق تفتح كنوز الأرزاق وتكثر الأصفياء وتقلل الأعداء وتسهل الصعاب وتنيل أسمى الرغائب وأعز المطالب .

أوحى الله تعالى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام :

((أوحى الله إلى إبراهيم يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله فى عرشي وأن أسكنه حظيرة قدسي وأن أدنيه من جواري)) [الديلمي]

السنة الأولى لتحصيل الألفة والمحبة: حسن الخلق .

السنة الثانية: المعاصي سبب لإلقاء العداوة والبغضاء والطاعات سبب لكسب الألفة والمحبة

جاءت هذه السنة في الآيتين 14 و 91 من سورة المائدة وفي الآية رقم 96 من سورة مريم .

أما الآية 14 من سورة المائدة فتقول :

﴿ ooفَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ o(14) ﴾[المائدة]

أمرهم الله سبحانه وتعالى بأوامر فهجروها وخالفوها، عصوها فأوقع الله تعالى بينهم البغضاء.

المعصية سبب للبغضة والنفرة من الخلق .

الآية 91 من سورة المائدة تقول :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91) ﴾[المائدة]

الآية تقول: إن الخمر والميسر القمار وهما معصية يدفع الشيطان الناس نحوهما ليلقي بين الخلائق العداوة والبغضاء فالمعاصي سبب لإلقاء العداوة والبغضاء .

الآن بالعكس الآية رقم 96 من سورة مريم تقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) ﴾[مريم]

سيحبهم الناس، إن الذين يلتزمون الطاعات سيلقي الله تعالى محبتهم في قلوب الخلق **فالطاعة سبب للألفة والمحبة .**

قال أحد الصالحين : ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم .

في كتاب الداء والدواء لابن قيم الجوزية عد ابن القيم الآثار القبيحة للمعاصي فكان أن عد اثنين وخمسين أثراً أي من ارتكب المعاصي، من حافظ على المعاصي، من لزم المعاصي نال 52

أثـراً سـيئاً منهـا : حرمـان العلم ، حرمـان الـرزق، ظلمـة القلب ، تعسـير الأمـور ،تعب البـدن والقلب ،منها محق البركة ....وهكذا عد 52 أثراً سيئاً .

قـال فيمـا قـال: من آثار الـذنوب القبيحـة وحشـة تحصـل بين العاصـي وبين النـاس يصبح هنـاك قطيعة، بغضاء، يكرهه الناس من غير سبب ظاهر، يكرهه شريكه، ابنه، زوجتهن زوجها يكرهها لا يوجد سبب ظاهر لماذا كرهها ؟

قال: من آثار الذنوب القبيحة وحشة تحصل بين العاصي وبين الناس ولا سيما أهل الخير منهم وتقوى هـذه الوحشـة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وتقع بينه وبين ولده وتقع بينه وبين نفسه... فتراه مستوحشاً من نفسه يقول يا أخي أنا وصلت إلى درجة أكره نفسي .

قال بعض السلف : إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا)) [أحمد]
فإذا رأيت صعوبة في خلق زوجتك راجع نفسك هل أخطأت مع ربك؟ .

إذا رأيت تعباً في تعاملك مع أرحامك راجع نفسك هل من ذنب عملته بالسر بينك وبين الله؟

إذا رأيت تسلطاً من صاحب العمل عليك راجع نفسك هل أذنبت ذنباً بينك وبين ربك ؟

فمن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح جوانيه أصلح الله تعالى برانيه .

قال العلماء :

إن للمعصية ظلمة في القلب وشيناً في الوجه ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق، وإن للطاعة شرحاً في الصدر ونوراً في الوجه وقوة في الجسم وزيادة في الرزق وألفة في قلوب العباد .

روى البخاري ومسلم والترمذي من حديث سعد و أبي هريرة رضي الله عنهما أن **النبي صلى الله عليه وسلم قال :**

((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ))

وذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) ﴾ [مريم] 00 **وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُ فُلاَنًا فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ))**

فيا أيها الأخ ويا أيتها الأخت أصلح ما بينك وبين الله حتى يصلح الله ما بينك وبين الناس .

أيها الإخوة هاتان هما السنتان الإلهيتان في تحصيل الألفة والمحبة ودفع الكراهية والبغضاء .

حسن الخلق وترك المعاصي مع فعل الطاعات .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين .